الاعلام وتشكيل ثقافة الجماهير

مجدي الرسام

لقد كتب الكثير خلال العقود الأخيرة عن تأثير الإعلام في الوعي الجماعي للجماهير وعن المصادر التي تستقي منها الجماهير زادها الثقافي كما أن الباحثين تعمقوا في استشراف المستقبل وحاولوا التنبؤ بمضمون المعلومات التي ستندفق عبر الشبكات الإلكترونية متسائلين هل أن هذه الشبكات ستكون قادرة على تشكيل ثقافة جديدة تتماشى مع التقلبات المنتظرة. وأدركوا إذاك أن ثقل التأثير الإعلامي الثقافي تجاوز كل التوقعات وأن وزن الثقافة في حياة الإنسان سوف يكون أثقل في عصر العولمة، تلك الظاهرة التي هي وليدة ثورة المعلومات وتكنلوجيات الاتصال.

وقد بدأنا نفهم أسباب وقوف الولايات المتحدة منذ ربع قرن ضد نزعة الحفاظ على الخصوصية الثقافية وضد مسعى منظمة اليونسكو لإقامة نظام عالمي جديد للإعلام والاتصال بغية تحقيق بيئة معلوماتية عالمية قائمة على التوزيع المتكافئ للموارد الجديدة ولمنافعها المختلفة.

من المحتم الاعتراف بتلك الفضاءات الجديدة التي أفرزتها منظومة العولمة، كما انه لا مفر من الاعتراف بدور أجهزة الإعلام بكل أشكالها، في التغييرات التي طرأت على مظاهر السلوك الإنساني في هذا العصر الذي لم يعد فيه وجود لأي حواجز ثقافية أو فنية، حيث دخلت أجهزة الإعلام كل بيت وانتشرت القنوات الفضائية وأصبح الكمبيوتر الشخصي مرافقا للإنسان في كل مكان.

ثم إن العلاقة بين منظومة العولمة ومفهوم الحضارة في مجتمع المعلومات في حاجة إلى تحاليل اضافية ودراسات معمقة، ذلك أن المنافسة كانت تقوم بكل درجاتها وأنواعها داخل حدود الوطن نفسه، أما العولمة فهي تؤدي إلى غياب البعد الوطني أو القومي وهي تعني الانصهار في مصنع عالمي واحد وسوق عالمية تهيمن عليها الشركات العابرة للقارات،

ولذلك فإنه يحق لنا التساؤل اليوم أي تشكيل ثقافي يمكن الحديث عنه؟ هل هو المضمون المحلي الذي توارثناه جيلا بعد جيل؟ وهل يمكن طرح موضوع علاقة الثقافة بالإعلام من منظور تقليدي تحدثنا عنه بالأمس؟ أم هل يتعين ربط المفهوم الجديد للثقافة بالشبكات الحديثة للمعلوماتية وبالتجهيزات الرقمية التي قد تتجاوز الإنسان في ذكائه وطاقته الإبداعية وتقدر على التأثير في سلوكه، وستتغير حاجاته في مظهرها وفي مضمونها وستوجه سبل الإبداع نحو مستقبل آخر مؤثرة في أجهزة الإعلام ذاتها بعد أن تأثرت بها طويلا.

ومن هنا تظهر أهمية الإعلام الاجتماعي الذي من شأنه أن يساعد على التقريب بين النسقين وتمكين الثقافات من استنشاق الهواء النقي الذي يقيها من شر الاختناق.

ويتجلى هذا التفاعل الإعلامي –الثقافي بوضوح أكثر بين المجتمعات التي تشترك في اللغة والدين والحضارة والتاريخ. إلا أن المنظرين لا يقبلون بمبدأ قصر الوظيفة الإعلامية على تدعيم النشاط الثقافي دون غيره من الغايات والأغراض الأخرى.

إن وظائف الإعلام والاتصال في مفهومها الواسع متنوعة وهي تتصل بميادين مختلفة ومتعددة فإذا نظرنا إليها باعتبارها نشاطا يتجاوز نشر الأنباء والمعلومات ويشمل أفراد المجموعة في إنتاج الخبر وفي مجال الاتصال يفتقر الوطن العربي إلى البنية التحتية للاتصالات، فلا تتجاوز نسبة الربط بشبكة الهاتف ٦ من كل مائة مواطن في معظم الدول العربية بينما تتجاوز هذه النسبة ٦٠ مواطنا في الدول المتقدمة. ولا يتعدى نسبة المشتركين بشبكة الإنترنيت مواطنا واحدا من كل ألف مواطن في أغلب الدول العربية بينما تفوق هذه النسبة المائة مشترك في عديد الدول المصنعة. وتشكو الدول العربية من نقص في توافر وسائل الاتصالات الحديثة داخل العائلات، إذ لا تصل نسبة امتلاك أجهزة الكمبيوتر الشخصية إلى ٣٠ جهازا للألف مواطن في حين ترتفع هذه النسبة إلى ما يتجاوز ١٥٠ جهازا في معظم الدول المتفوقة تكنولوجيا.

ولا توجد في الدول العربية صناعات ثقافية، باستثناء تجميع أجهزة التلفزيون في عدد منها وصناعة ٢٠٪ من ورق الكتابة، وتغطى بقية احتياجات السوق بالاستيراد، ولم توفر الامتيازات والتسهيلات والحوافز لتشجيع المستثمرين على إقامة هذه الصناعات.

ومن اهم القضايا التي ستطرحها ثورة الشبكات الافتراضية قضية "الذكاء الجماعي" التي ستكون مفيدة لحل المشاكل الكونية التي ستزداد تعقدا وشمولية على مر الأيام. فكل مجموعة بشرية مرتبطة بالأنترنيت بإمكانها نظريا أن تشارك في إنجاز الأعمال الجماعية وذكاء كل فرد يمكن أن يعبأ لفائدة الجميع. والجدير بالتذكير أن عبارة "الذكاء الجماعي" التي كانت شائعة الاستعمال قد تعوض بعبارة "دائرة العقول" التي استخدمها تيلهار دي شردان فدائرة العقول هي مجموعة من الذكاءات الفردية الحرة متصلة فيما بينها ومتعاونة في مجال البحث عن تطور الوعي. والثقافة السيبرنية مؤهلة أكثر من سواها لتيسير استعمال هذا المفهوم الجديد.

وهناك قضية أخرى وهي قضية التنوع الثقافي. فالعولمة هي بلا أي شك خطر يهدد ثراء وتنوع الثقافات في العالم لكنها تمثل كذلك فرصة مهمة. فهناك توازن عسير إيجاده بين اختلاف الشعوب وبين ما يجمع بينها وبين عبقريتها الخاصة وبين تطلعاتها المشتركة.

كما إن ظهور ثورة المعلومات وتطور تقنيات الاتصال الحديثة من شأنه أن يؤثر تأثيرا مباشرا في العملية الإعلامية من حيث أساليبها وأهدافها في العمل السياسي والتحرك الديبلوماسي. وإن ما تتضمنه عبارة الديمقراطية السيبرنية من أهداف يمثل بحد ذاته مشروعا حضاريا متكاملا. والأمر يتوقف على تحقيق التأهيل الشامل في هذه الحال للجميع بدون استثناء حتى يكون الحوار قائما بين أطراف متكافئة وفي ضوء رؤية مستقبلية تنبذ الرجعية والانغلاق وتنشد التفتح والديمقراطية والعدل ..

فلا يفوتنا أن الحوار العالمي حول الحرية الإعلامية وتدفق المعلومات والخصوصية الثقافية انتقل من المنظمات الأممية المعنية بالثقافة والعلوم إلى المنظمات التجارية والاقتصادية. وقد تفاوتت الآراء بين صانعي القرار وبين ممثلي المنتجين والمستهلكين وتفاقم الخلاف بين المدافعين عن الحرية المطلقة للإعلام وبين المدافعين عن الضعفاء والأخلاق الفاضلة من خلال مدونات السلوك والقوانين العالمية.

كأس التوحُّد

عبير حسن العاني

الإهداء..
الى الذي استمات ليعيد علم بلاده الى صدره..

خرجنا متلهفين للقاء أحبتنا واخواننا بعد فوز المنتخب العراقي بكأس آسيا،لنذكّر العالم اننا هنا نحمل العراق بقلوبنا كما نضع خارطته على صدورنا.. حملنا أعلامنا وتوجهنا لمكان تجمع اللاجئين العراقيين.

عراقيو الأردن نحن .. انتظرنا فرحة تجمعنا معا.. توحدنا.. تطيرُ بنا الى أهلنا في لحَظات تَوحّد لنشاركهم فرحتهم عبرشاشة صغيرة قد يروننا من خلالها بعدما باعدتنا الأيام ..

نسينا كل (تحفظنا) الذي تربينا عليه.. (هلهلنا) نساء ورجال.. بحرقة الملهوف وغنينا وهتفنا للعراق الجريح الوحيد..((بالروح بالدم نفديك يا عراق)).. ولانفدي سواك.. فالكل راحل وانت باقٍ.. بنا ولنا..

فرحنا ونحن نرى أخواننا الأردنيين يشاركوننا أفراحنا.. ولكن.. يبدو أن الفرح ممنوعٌ للعراقي.. (لا تفرح انت عراقي!)..وبينما نحن نرفع الأعلام،همس لنا فتى بلهجتنا العراقية المميزة((ضموا الاعلام ترة المخابرات ياخذوها وياخذوكم))..

لم نصدق.. لأننا توقعنا أن فرحتنا هي فرحة الأردنيين ولو كان الأردن قد فاز بالكأس لكنا احتفلنا معهم وحملنا علمهم بيدنا.. فنحن شعب لا ينكر الجميل.. وهل هناك اكثر من جميل انقاذ حياتنا بفتح ابواب وطنهم لنا؟

عَلَمُنا.. هو هويتنا.. هو كرامتنا.. هو دماء تنزف كل يوم أمام مرأى العالم الساكن كالموت.

وهمس الآخر بنفس الشيء .. والآخر.. لكن الفرحة كانت أكبر من أن نصدق ما لا يُصدَق.. حتى كانَ ماكان..

هجم علينا جيشٌ ملثم يرتدي السواد..ذكرنا فعلا بمن هجرنا وطننا بسببهم،وبدأ بتفريقنا ..لماذا؟ لم نعرف..أحدهم أخذ العلم العراقي من صدر شاب كان يقود الاحتفال.. واستمات الشاب ليعيد العلم،لم يكن العلم عنده مجرد قطعة قماش ..كان له وطنا.. وبالفعل أمام أصراره أعادوه اليه، فصفق كل العراقيين بكل أطيافهم وقومياتهم لذلك الرجل الذي منحنا أملا بعودة العراق للعراقيين.

لماذا يستفز أتحاد العراقيين الجميع؟هل يمثل تلاحمهم خطرا على احد؟ولماذا نُحرَم من حقٍ يتمسك به كل شعبٍ من شعوب الأرض؟

ذهبنا ونحن نبكي فرحاً .. وعدنا ونحن نبكي خيبةً وحزناً .. ولكن ذلك يزيدنا إصرارا على إسماع العالم صرختنا((نحنٍ شعب كالشعوب .. لنا حقٌ(حب الوطن) مثل الجميع،لن نتنازل عنه.. صادروا أعلامنا وجوازات سفرنا وحقائبنا الممزقة .. لكن الحب لا يمكن أن يُصادَر.. ومهما فعل عراقيون هنا أو هناك فأن العراق سيبقى عريقا بشرفائه ودم أبريائه.. ونخيله.. وعلَمه.. و..... بكأس آسيا!!)).

مبروك لك يا عراق كأس المحبة والتوحد والأنتماء.

قصص قصيرة جدا

عدنان عزيز دفار

الأسوار

نظر من ثقب الباب، الباب الذي تحول إلى بوابة ضخمة لمدينة محاصرة... وفجأة ارتصفت الصخور والأحجار لتصبح أسوارا عملاقة تحيط بالمدينة التي تغفو فوق أسوارها الرماح التي تطل على الصحراء.وقد وجد نفسه خارج الأسوار، طريد... رفع رأسه ينظر إلى السماء التي تلبد فضاءها غيوم سوداء لون الأشجار التي تنمو على حافة الوادي...

هرول نحو الجدول فأنهمرت الأمطار بغزارة شديدة على رأسه دون بقية جسده..وقف يختبيء تحت شجرة السرو العملاقة التي كان يدون الملوك على جذعها تاريخ المدينة. فتهاوت من شدة أصوات حوافر خيول الموكب الملكي.. أشعة الشمس تنحسر خلف الأسوار عاد مسرعا ينفض غبار السقوط لشجرة السرو.. لينظر من ثقب البوابة الكبيرة ثانية عل الأشياء التي تكونت فجأة تنحسر لكنه وجد امرأة عارية تنهش في جسدها جراء صغيرة دون أن تحرك ساكنا..حاول ان يقتحم البوابة ليبعد الجراء عن المرآة التي شغلت نظراته الصغيرة بحجم الثقب.. لاشيء يتحرك سوى الجراء الصغيرة التي اندفعت باتجاة البوابه لمهاجمته؟

العيون

كلما سمعوا وقع حوافر الخيل انذرهم صبية الحي الذين يترصدون عبر التلة المطلة على القرية... يتسارعون في لعبة الاختفاء في صناديق صنعوها لا نفسهم في حجيرات بيوتهم الطينية... الغبار يلفح وجوههم ويترك حفنة غليظة على صحونهم الخشبية.. وبينما هم أجادوا تلك اللعبة وأجادوا صنع الصناديق الخشبية.. حتى أن حركاتهم أصبحت أكثر رشاقة لممارستهم تلك اللعبة..وذات إنذار عادت الحوافر تنهش في التراب وتتمسك حوافر أخرى في الأرض وبينما الجميع كان يجيد تلك اللعبة والرشاقة في الخطوات لم تتبعد هذه المرة الحوافر وطال انتظار الذين خبأوا أنفسهم في تلك الصناديق التي صنعوا منها توابيت لأنفسهم قرروا البقاء.

الحمار

الشيء الوحيد الذي يقلقه صوت الحمار... كان يمر في أزقة الحي ويتخطى الأصوات التي تتكدس في أذنيه كما تتكدس قوائم الديون في جيبه لاشيء يزعجه في الحمار سوى صوته بينما ينفق ثلاثة أرباع يومه يعتمد على الحمار.. ولاذنب للحمار سوى صوته. بينما كان يرقص على حبل طويل من أشياء تؤرق الحمار منه ولاشيء يقلق الحمار أكثر من أوامر الإنسان والسياط التي يلوح بها..

إننا

الأشياء التي تتركه على الأرصفة قمامة تعلو في الغلاء أسوار وتفرش من نفسها خنادق لمعركة قادمة.. المدن رحلة إلى عالم يمتعض من الأشياء التي تعلو فوق رأسه حكايته الأولى كانت في مخافر الشرطة والمخافر بيوت لممارسة (دعر) السلطة يعلم انه اشطر من الشاطر حسن وأنها رحلة ستحسمها عضلاتة المفتولة كالغصون لشجر اللبلاب لكنه سرعان ما أجهش بالبكاء وأسرع يعلق عضلاته في دورة المياه ويمضي صغيرا في زوايا لم تبق من ماء وجهه إلا القليل.

الحوت

الحوت ذلك العملاق الذي يمخر البحر...كالحمامة ترشق السماء بجناحيها كان ضيفه في علبة صغيرة على مائدة الطعام العيون التي كانت تشاركه الوليمة لم يسنح لها أن ترى رشاقة الحوت لكن رائحة لحمة تمزق الأنوف.. بطون سغبة ولحظات تسبق الاشتهاء....تلك النافذة التي يطل منها على يومه.

اليد والذراع

الطرقات مطرقة القدم هكذا تتقوله الاشرعه ويمضي الى داره غير أسف من خوض معركته كان ينتظم هو وظله في الطابور لكن ثمة من يتجاوزهما ينشب العراك ثانية ويتأفف في سره لان ثمة شخص مهم يصطحبه معه ليرى حضارة المدينة هو قبل عن نفسه لكن رجله المهذب الذي لايفقة من لغة النفاق والثرثرة الا يستحق الاحترام لماذا يسحقون باقدامهم شخصه الكريم هكذا يحتفي أبناء المدن الحديثة ضيوفهم أم..أم إنهم لا يأبهون بمن نصطحب

نبوءة أخرى

تصطاد في عيني دون عناء دائما تترك الشباك قريبا من الساحل وتمضي زرقة البحر راية صغيرة تنتصب في عينيك دون عناء تلك حماقة الوهم نمضي سريعا تتشابك أيدينا كتشابك الغصون في غابة كثيفة وتمتد الرايات التي صنعتها للتو من قصب أحلامك تخط كلماتك الأولى وتتبعها بتعاليم عادة تلقى بترحيب الريح الذي يدفعها بعيدا

الأحلام

الأحلام والسحاب والقمر تندلق إلى جوف الأرض لحظة بناء أسوارها الأولى التي تحيط بكل شيء. كان الوادي ليس بعيد عن أطراف الصحراء التي تمتد في أعماق روحه.. الذي يتكور في هذا الجسد النحيل الذي يرتدي أزار ابيض ويلتحف الحكمة في أقواله التي تتبسمر وتدق على الحيطان ألواح وصاياه يأتي أُخريات الليل ويلقي في أذاننا تعاليم السماء ويمضي لكن روحه تطوف تدق الأبواب وتهمس في أذان العشاق رغبة العشق الأبدي كان يمد يديه إلى يباب القلوب فتتفجر منها ينابيع صافية من المحبة والسلام ويترك الكلمات تنساب كأنسياب القوارب في الخلجان الهادئة.. ينظر إلى السماء فيتساقط المطر كما تتساقط الطيور على حبات القمح في لحظة احتياج عارمة يمد يديه أبعد فيستعير من النجم ذيول إضاءة ليصوغ منها أقراط فضية ويبتعد.. تلك عيونه التي تضيء كمصابيح في ليل داج.. تمشط الظلمة وتُمسد شعرها بالضوء أنها حكايات كانت في لوح نبوءته الأولى التي تساقطت منه في بئر وهمنا بالقادم الذي لا يأتي حسنا الجداول جراء عيونك الماطرة تعدو لاهية بصبرها الذي تحول إلى مصاطب أخرى لانتظار آخر أكثر مللا. تلك حكاية الأحلام والسحاب والقمر وليال أخرى.

بغداد

نعمة حسن علوان

-١-

وحشرجت بطفولة الشعراء
واحتفلت بموت طغاتها
في ليليها التتري
كانت حين تنطفأ النجوم
تعب اضواء المأذن
وهي تختصر الدروب إلى جميع جهاتها
بغداد شارعها الطويل
وحارة الفقراء تمضغ جوعها
فيها القصائد ترتدي قمصانها البيضاء
تبتسم البطولة في نهار جراحها
حبر الكتابة لم يجف بمائها
وهي الجسور العابرات على ظفائر دجلة
المتعري فوق اديمها
بغداد حاولها الولاة على ممر الانبياء
بخيلهم وبأرجلهم
فتبدلوها لعنة
وتبدلتهم جمرة للهيبها

-٢-

في شارع المتنبي
شاعرها المشاكس
للحرف رائحة التراب
مضمخ برفيف اجنحة النوارس
المصطبات وباعة الكتب القديمة والنفائس
والعابرون
يلملمون حديثهم عن رحلة الادباء في المنفى
وعن منفى هنا
في باحة الوطن المدجج بالفرائس
هي قامة امراة
تجدد عرسها بين العرائس
وهي المدينة ذاتها اللاتي
يحاصرها الظلاميون
والغرباء
اعداء الثقافة
والحروف الابجدية
والمدارس

-٣-

بغداد اشغلت الحواس واشعلت
في ظلمة التاريخ
اصبعها الشهيد
هي والشهادة تؤمان
يتدافعان الى المنى
ويدافعان عن الكرامة والنشيد
وعشتروت
تبكي على طلل البيوت
وترتدي فستانها المبلول بالدم والطفوف
يتوظأ الحلاج من دمي والحروف
ويصلي في فجر العراق صلاته
مابين حرف الضاد والاضداد
ذاكرة والف حكاية سمراء
يوقفها -جنود المارينز
بين شواطئ النهر المعرى والنخيل
ولاسبيل
الليك يابغداد الا ان اكون
قتيلك المقتول
في كل المواسم والفصول